يحصل تنفسهم على الأكثر بنزول الحجاب الحاجز فيضغط على الاحشاء وبذلك يرتفع البطن ويسمى هذا الضرب من التنفس « بالتنفس البطني » أما في الرجال فأكثر حركة التنفس تشاهد في الجزء الأسفل من الصدر مع بروز البطن أيضا وفي النساء تشاهد الحركة على الاكثر في الجزء العلوي من صدورهن

ويختلف أيضا عدد مرات التنفس باختلاف الاعمار و بالراحة والتعب وبالصحة والمرض، فيكون في الصغار وفي الحيات وغيرها أكثر، وكذا بعد التعب الجسماني أو الانفعال النفساني　　(يتبع)

الحق والقوة (*)

وبحث فلسفي عنهما بمناسبة الحرب الحاضرة

أو درس ضروري لنا نحن السوريين خصوصا والشرقيين عموما

الجنرال فون برنهاردي قائد مجرب له مكانة سامية في الجيش الالماني كما انه عالم طبيعي شهير له مصنفات شتى في علم الاحياء (بيولوجيا) يرجع اليها ويستقى منها. وقد أصدر هذا الجنرال كتابا في سنة ١٩١٣ دعاه « المنطق والمبادىء في الحروب » ضمنه آراءه في الحرب ووجوب الالتجاء اليها عادا اياها فضيلة، فكان هذا المؤلف موضوع الاحاديث في الاندية العلمية والسياسية في العالم باسره وزادت اهميته بعد اعلان الحرب الكبرى الحاضرة لان كثيرا من الاعمال الالمانية فيها أتت مصداقا لما ورد في ذلك الكتاب — كأن أركان حرب ألمانية كلهم هم الذين انشأوه لا فردا واحدا من قوادهم

ولما أكثرت المجلات العلمية والسياسية من البحث في هذا الكتاب وتعاليمه تصدت مجلة القرن التاسع عشر الشهيرة لنقده فنشرت مقالة بليغة مسهبة في عددها الاخير عنوانها « الحق والقوة » أردنا تعريبها والتعليق عليها لاننا نحن الشرقيين صرنا أحوج أمم الارض الى تعاليم الجنرال فون برنهاردي وأشدهم افتقارا الى من

(*) نقل عن جريدة الافكار التي تصدر في البرازيل (عدد ٩٠٢)

يديها بيننا بعد ان شبعنا من التعاليم الاكليريكية والمبادئ الخيالية التي أذلتنا وغير عز ، وافقرتنا وغيرنا اغنى ، وأضعفتنا وغيرنا قوي وأفلح .

قالت مجلة القرن التاسع عشر :

اشتهر كتاب الجنرال فون برنهاردي الاخير لانه لم يتضمن ابحاثا سياسية فقط بل تضمن ايضا ابحاثا فلسفية وعمرانية واجتماعية تشهد له بالجرأة وطول الباع . واننا في نقدنا فلسفة الاجتماع ومبادئها الواردة في ذلك الكتاب نحصر كلامنا فيما له علاقة بالحرب الحاضرة من تلك المبادئ . وايضاحا لما نحن بصدده الآن ننشر أولا أهم تلك التعاليم التي نرى برنهاردي يبشر بها وهي مقتطفات من كتابه الآنف الذكر :

١ – تنازع البقاء

قال ان التنازع لاجل البقاء هو الناموس الاولي الذي لا مفر منه ، لا في المجتمع الانساني فقط بل في العالم الحيواني بأسره . وبموجب هذا الناموس لا يمكن حراز النجاح والارتقاء من دون استئصال العضو الضعيف من المجتمع . فالضعيف اذن يجب ان يهلك ويفنى . بيد ان المجتمع البشري يختلف عن غيره من المجتمعات الحيوانية في ان الانسان له حياة فردية وحياة عمومية معا وهذه الاخيرة مرتبطة بالوطن الذي ينتمي الفرد اليه ولذلك كان ناموس تنازع البقاء وبقاء الانسب لا ينطبق أتمام الانطباق على الانسان كما ينطبق على الحيوان، لان الواحد من الحيوان لا ينظر الا الى مصلحته الخاصة فقط، أما الفرد البشري المرتبط بمجموع الامة المنتمي هو اليها فعليه نوع من المسؤولية نحو تلك الامة من حيث هي مجموع منتظم . والامة – وهي مجموع أفراد – لا حياة لها إلا بالتنازع أيضا ولكنها في هذا الجهاد يجب ان تلتجئ الى نظام موافق أو شريعة عادلة تسري على الكل من دون تمييز حتى اذا تعارضت مصلحة الفرد ومصلحة الامة كان على الفرد ان يضحي مصلحته الخاصة اذا اقتضت المصلحة العمومية تضحيتها [1] أي ان المنفعة الشخصية يجب ان تضحى على مذبح

(١) الافكار: كما تمنينا مرة ان يطبع خطاب روزفلت في «الاخلاق» ويوزع منه مليون نسخة في سورية والاستانة كذلك نتمنى الآن ان يترجم كتاب برنهاردي هذا ويوزع على جميع العثمانيين وعموم الشرقيين لان الشرق كله بحاجة ماسة الى مبادئ هذا الكتاب العملية دون المبادئ النظرية التي كانت علة انحطاطه.

المنفعة العمومية عند الحاجة وفي الهيئات الراقية المنظمة

٢ — القوة المحسوسة واجبة لحفظ المجتمع

هذا من النظرة الشخصية الفردية ، أما من النظرة العمومية فالمسألة فيها نظر لان الامة الواحدة في أثناء معاملاتها مع سائر الامم لا يجوز لها ان تسير بموجب المبدإ الآنف الذكر أي مبدإ تضحية الواحد لاجل الخير العام عند الحاجة الى ذلك، بل يجب على الامة كمجموع منظم ان تفسر الحق والعدالة تفسيراً آخر يلائم مصلحتها كما سترى

لا يمكن تنظيم أمة مالم يجتمع عدد كبير من أفراد تلك الامة تحت لواء المصلحة المشتركة بينهم، ومن العبث اجتماع البشر كلهم في أمة واحدة تحت نظام واحد لان هذه النظرية لا يمكن تطبيقها . وتأليف أمم صغيرة ضعيفة غير مستحيل غير ان حالة مثل هذه الامم الصغيرة تستوجب الشفقة لان وجودها مخالف للناموس الطبيعي أي ان ليس لها حق الوجودي ، ودونك البرهان الحسي العملي المعقول :

المقدمة المنطقية الاولى : ان البشر مضطرون بحكم نمو عددهم المضطرد الى تأليف جماعات طبقا لناموس التعاون ولكن هذه الجماعات تكون متباينة لا في الكمية فقط بل في الكيفية أيضا

المقدمة المنطقية الثانية : ان اختلاف العناصر وعوامل الاقليم والمناخ وجدت منذ الازل وسوف تبقى بحكم الطبع الى الابد

النتيجة المنطقية الثابتة: لذلك وجب تباين الامم بعددها وأنواعها بسبب تباين الاجناس والالوان والاخلاق والعوامل الطبيعية من جيوغرافية وغيرها من العوامل الخارجية أي انه وجب وجود أمم ضعيفة بين أمم قوية بحكم الطبع . ولما كان ناموس تنازع البقاء — وهو ناموس طبيعي ثابت — يجبر الامم على حفظ كيانها وعلى تقوية ذلك الكيان على حساب الضعيف من جيرانها[1] كان من الضروري وجود ذلك التنازع بين الامم الضعيفة والامم القوية . لذلك قلت ان الامم الضعيفة

(١) المنار : يعني ان سنة تنازع البقاء تدفع الامم بما يشبه الاجبار الى حفظ وجودها الامي وتنميته مما تسلبه من الامم الضعيفة المجاورة لها

تستوجب الشفقة لانه لاحق لها بالوجود — ومن المستحيل دوام وجودها وهي عرضة لخطر الاضمحلال في كل حين بسبب التنازع الطبيعي بينها وبين القوي من جيرانها . ولا بد للقوي من استعمال قوته وهذا الاستعمال هو الحرب بأبسط معانيه . وأقول بعبارة أوضح: ان كل أمة يجب ان تعتمد على القوة، على القوة وحدها، في اثناء معاملاتها العمومية مع سائر الامم والا كانت أمة ضعيفة عرضة للفناء في كل حين

انتقد الفيلسوف التلياني ماشيافلي مثل هذا التعليم بحجة انه يرمي الى اعتبار القوة غاية الوجود لا واسطته . ولكن غاية الوجود « هي حماية مصالح الفرد وترقيتها حتى يصل الى الدرجة المطلوبة من السعادة والكمال » وهذه لايمكن الحصول عليها من دون مساعدة الامة، والامة لايمكن أن تقوم بالحماية والترقية مالم تكن قوية، وقوتها لاتأتي إلا من حصر محبة بنيها لها وحدها أولا، والا فاتني لاأفهم كيف ان زيدا يحب خير العالم أجمع وهو لايحب خير أمته ووطنه وجنسه وعائلته أولا . فالواجب الانساني إذن يقضي على المرء بمحبة جنسه أولا

إذن أرى أن الناموس المسيحي القائل بالمحبة والاحسان والغيرية هو أشرف ناموس في الكون لكنه وضع لاجل العلاقات الفردية في الامة الواحدة فقط، ولا يمكن تعميمه على الانسان والانسانية، لان التعميم مخالف للنواميس الطبيعية الثابتة ، والتخصيص أولى، إذ أن الذي لايحب أخاه القريب، لايقدر على أن يحب البعيد الغريب وعلى هذا الرسول بولس ذاته فيلسوف الكنيسة المسيحية وواضع أهم تعاليمها

٣ — فلسفة العدالة في المعاهدات والحروب

ليست الحرب مقتصرة على اقتتال الجيوش فقط بل الحرب اصطلاح سياسي يعني وجود أمة تنازع أمة أخرى سواء كان باستخدام السلاح أو باستخدام السياسة . والحروب السياسية تعني مضايقة فريق لفريق آخر بواسطة المعاهدات التجارية أو المعاملات الاقتصادية من صناعية وتجارية وزراعية وما أشبه . وإذا لم يذعن أحد الفريقين للآخر بحرب السياسية يصير الالتجاء الى السلاح أمرا لازما، غير ان مسؤولية رجال الحكومة في أثناء الحروب السياسية تقضي عليهم بالمحافظة على مصالح الشعب وإنماء ثروته . هذه هي الغاية الاولى لهم . أما

الواسطة فخاضعة لحكم الظروف. فإذا كانت الظروف تحوجهم الى اطراح المبادئ النظرية الادبية جانباً فلهم ذلك لانهم بهذا الانحراف يخدمون المصلحة العمومية لا المصلحة الفردية . واذا رأوا الخطر محدقاً بالشعب فعليهم مباغتة العدو والغدر به قبل أن يتم معداته حتى يقضوا على قواه الهجومية والدفاعية ويأمنوا شرّ تنازعه اياهم منافع البلاد وثمار أراضيها ومعاملها وهذا لايأتي إلا بانماء القوة المحسوسة وازديادها . ولذلك كانت القوة مظهرا من مظاهر العدالة لان الحروب عدل وبها وحدها تثبت العدالة على أساس متين . وبرهاناً لذلك أقول :

لنفرض ان أمة إبان ضعفها خضعت بحكم السيف الى جارها القوي وسلمت معه بشروط مكتتبة على ورق سموها معاهدة ، ولنفرض أن تلك الامة الصغيرة صارت قوية على تمادي السنين فرأت أن تلك الشروط التي كانت قد رضيت بها أولا في أيام ضعفها صارت ثقيلة عليها تضر بمصالح الشعب في أيام قوتها . فالشعب في هذه الحالة الاخيرة صار يرى ذاته مغدورا مغبوناً . واذا هب الى تمزيق المعاهدة الاولى المجحفة بحقوقه فعمله هذا هو العدل بعينه . ولا يمكن ان ترضى العدالة المجردة بغبن شعب كامل وغدره . ليس ذلك فقط بل اننا لانقدر أن ندعو الاذعان لشروط مجحفة عدالة وفضيلة . بل ان العدالة تقضي بتمزيق المعاهدة المضرة الجائرة بواسطة المفاوضات السياسية أولا التي ادعوها حرباً بطيئة كامنة ، فاذا نجحت فبه والا فاستعمال السيف والمدفع يصبح أمرا واجباً — ولا يمكن أن يوجد الحق ويثبت مالم يكن مؤيدا بالسيف ومدعوماً بالمدفع وقوة الساعد ولذلك كانت الحرب فضيلة . أي ان الحرب أمر ضروري للمجتمع الانساني لانه رمز العدالة ومنشئ الشجاعة والجرأة في الامة ورفيق الحق والمطالبين به. واذا تركت الحرب تجبن الامة عن المطالبة بحقوقها فتبقى مغبونة مقهورة ذليلة ومثلها لايثبت في ميدان تنازع البقاء لان ناموس بقاء الانسب يقضي عليها إن عاجلا أو آجلا والانسب هو الاقوى في كل حال

هذه هي زبدة تعاليم الجنرال فون برنهاردي المدونة في كتابه الجديد « المنطق

والمبادئ في الحروب » ودونك مجمل الانتقاد العلمي الفلسفي البديع الذي نشرته مجلة القرن التاسع عشر الطائرة الصيت في عددها الاخير قالت :

تعليق مجلة القرن الـ ١٩ على الكتاب الالماني

ليس الجنرال فون برنهاردي وحده القائل هذا القول ولا هو من وضع هذه الفلسفة أي فلسفة القوة والاعتماد عليها وحدها لاجل تثبيت الحق والعدالة . بل اننا اذا أمعنا النظر نرى أن معظم علماء الالمان وفلاسفتهم قالوا بهذا الرأي ونشروا مثل هذه التعاليم من ارنست هكل العالم الطبيعي المعروف زميل شارلس داروِن الى نياتش المادي الشهير، وغيرهما كثير. وليس من العدل والانصاف ان نقلل من أهمية هذه التعاليم لمجرد انها صادرة عن أعدائنا فإن « العلم مشاع بين جميع الامم وليس لوطنه حدود » فلندرس إذاً مبادئ الجنرال برنهاردي وتعاليمه بكل نزاهة ولنمحصها في بوتقة التحري بقطع النظر عن قائلها

قال ارسطو الفيلسوف اليوناني القديم: ان الفضيلة هي الوسط بين متضادين . أي ان الشجاعة مثلا هي فضيلة لانها وسط بين الجبن والتهور . فالجبن رذيلة لانه دليل الذل وصغر النفس، والتهور رذيلة أيضا لانه دليل الحماقة والكبرياء — وكل هذه العيوب الاخلاقية تدل على وجود مرض بعقل المصابين بها وخصوصاً الغرور والكبرياء (١) وقس على ذلك الصدق والكذب والحق والباطل وما أشبه ذلك من المتضادات

(١) الافكار : اتفق ونحن نقرأ هذه المقالة البديعة ان وصلتنا الصفاء الغراء فوجدنا فيها ما يأتي :ـ قال أحدهم: المتكبر أجدر الناس بالشفقة لان الكبرياء مرض في العقل» أي ان صاحب الصفاء يتألم من كثرة ما يرى من المتكبرين حوله . وقد تذكرنا خطبة مطبوعة باللغة الانكليزية عندنا للدكتور دانيال باس رئيسنا العلامة الكبير قالها امام صف المنتهين مرة فراجعناها واذا في احدى صفحاتها ما يأتي :

« واني أوصيكم بالاعتدال في كل شيء . لان الاعتدال من أهم الاخلاق التي يحتاج اليها الشرق . ومن أعظم المصاعب أمام عملنا نحن المربين والمهذبين في هذه البلاد اننا نرى أفراداً بين السوريين هم متهذبون بكل معنى الكلمة تمام التهذيب ـ وبالاصل gentleman، وافرادا غيرهم على غاية من التاخر والانحطاط والحلقة الوسطى بينهم تكاد تكون مفقودة. وبينما نرى الكرم لحد التبذير في البعض نرى =

وكم ضل أفاضل من الرجال سواء السبيل لانهم اتخذوا التطرف ديدناً لهم فكانوا باهمالهم الصدق مثلا يكذبون، وهم لا يدرون، و بتطرفهم بالتمسك بالحق حسب اعتقادهم يخدمون الباطل وهم لا يقصدون . والحقيقة أن تعاليم الجنرال برنهاردي مطابقة تمام المطابقة لتعاليم ارسطوطاليس كبير الفلاسفة لولا مابها من تجسيم يبلغ حد الغلو أحياناً فضلا عن خلوها من رابط متين يربط الحق بالقوة كما سترى

٢

ان الاساس الذي بنى عليه الجنرال برنهاردي كتابه هو التعليم القديم القائل ان « الحق للقوة » والدعامة التي دعم بها ذلك الاساس هي تعليمه القائل بأن كل الآراء المتعلقة بالحياة الاجتماعية والسياسية تكون آراء مضرة اذا تجاهلت كون الحق للقوة لانها أي الآراء ليست في هذا التجاهل سوى رياء وتضليل

وبموجب تعاليم برنهاردي يكون الاشتراكيون مرائين ويكون الراديكاليون المتطرفون أكثر رياء وخداعا ، ليس ذلك فقط بل ان كل الفلاسفة الذين يخالفون مذهب دارون القائل ببقاء الانسب بعد التنازع لاجل البقاء قد اضروا الهيأة الاجتماعية لانهم دلوها على التواكل والاستسلام وعلموها الحيلة والرياء وأبعدوها عن القوة ـ وهي الفضيلة المقدسة التي هي أساس كل الفضائل

وللجنرال برنهاردي فضل عظيم في انه شرح هذه التعاليم العملية وحاول تطبيقها على حالة أوربا السياسية الحاضرة . ولا شك في انه صادق فيما يقول عن القوة وتقديسها ـ تلك القوة التي صار الشعب الانكليزي (تذكر ان الكاتب عالم انكليزي) يستخف بها وينسبها الى قبائل الزولوس المتوحشة حتى انه أصبح في الآونة الاخيرة يبالغ في تحقيرها وتحقير كل أمة تعتمد عليها. ولكن لما نشبت الحرب الحاضرة أدرك الشعب خطأه وعلم أن من دون الاعتماد على القوة خطر الغزوة

= أيضاً البخل لحد الشح في البعض الآخر . وكذلك بينما نرى الذل والجبن في طبقة نرى الغرور فاشياً والكبرياء لحد الادعاء الممقوت في طبقة ثانية . واذا قدرت هذه المدرسة « أي المدرسة الكلية » على ايجاد حلقة وسطى توجد الاعتدال في مشارب السوريين وأخلاقهم نكون قد عملنا عملا تهذيبيا عظيما »

الالمانية وبالتالي خطر فناء انكلترة من العائلة السياسية الكبرى

ولا جدال في ان القوي تغلب يوما على الضعيف جاره واحتفظ بمركزه المتفوق بالقوة الوحشية وهذا ينطبق على الامم كما على الافراد . ولا جدال أيضا في ان كل حكومة راقية تضمن لابنائها المتفردين بالقوة أفضل المراكز ولو على حساب المجموع لان مجموع الامة يستفيد منهم. وكما ان الام يجب ان تكون قوية جدا حتى تتمكن من الاعتناء بطفلها الضعيف كذلك يجب على رجلها ان يضمن لها التقوية محافظة عليها وعلى صغيرها . هـذا الشطر الاول من كتاب برنهاردي واظن ان الاندية العلمية والسياسية عندنا سلمت بصحته فورا

أما الشطر الثاني الذي أقام العلماء وأقعدهم فهو كلام ذلك الجنرال الالماني عن علاقة الامة الواحدة بغيرها من الامم الاخرى فان ذلك الكلام يقرر ان أفراد الامة الواحدة يجب عليهم التضامن والتكاتف وتبادل الصدق والولاء والعطف والمحبة بعضهم مع بعض فقط حسبما ورد في مثل الزوج والزوجة ومسؤوليتهما نحو طفلهما الضعيف . أما في علاقة الشعب بغيره من الشعوب القريبة فالجنرال برنهاردي يقول بصراحة ان لا رحمة ولا شفقة ، بل ويل للضعيف في تنازع البقاء، لان القوة وحدها هي الحكم الاخير في العلاقات العمومية، وبقاء الانسب يقضي بانقراض الضعيف ان لم يكن اليوم فغدا

وبجملة أوضح أقول ان أركان حرب ألمانية يقولون بالحق والعدالة والرحمة بين أبناء العائلة السياسية الواحدة ، ولكن يقولون بمعاملة الغريب على قاعدة بقاء الانسب ـ أي على قاعدة الحق للقوة . وعند درس هذا المذهب ببراءة وانصاف نرى انه ليس مذهبا جديدا ولا مخالفا لما نراه جاريا في الكون ، سواء اردنا ذلك أم لم نرده . إذن لا أرى ان الذين خطأوا برنهاردي هم من القوم المصيبين المنصفين (١)

نعم ان عندنا شرائع تضمن العدالة وتجبر الحكومة على اجرائها حفظا لحقوق

(١) الافكار: ان قائل هذا الكلام هو مستر مالوك من علماء الانكليز اعداء الالمان الالداء وكلام الخصم حجة

الضعيف من جاره القوي ، ولكن هذه الشرائع وتلك العدالة تسري على أبناء الامة الواحدة فقط أما على غيرنا من الامم والحكومات فمن ينكر انا لانعاملهم بما يعامل به بعضنا بعضا ، ان نكران هذا الامر هو الرياء بعينه ، وهذا هو مبدأ برنهاردي أيضا، وهاك نص احدى عباراته حرفيا بهذا الصدد قال :

« لايوجد في الكون حكومة تجري على غيرها من الحكومات ذات القوانين وذات النوع من العدالة الذي تجريه على افرادها هي . كذلك ليس من الواجب على أي حكومة ان تعتني بالغريب وتعطف عليه وتساعده ، ولكن من أوجب الواجب عليها الاعتناء بأولادها وتقوية الضعفاء منهم فقط واجراء العدالة بتمام النزاهة والتدقيق بين المتخاصمين منهم وحدهم . واذا قلنا ان محكمة دولية عمومية يجب ان تنشأ لاجل فض الخلافات بين الدول على مبدإ الحق والعدالة المجردة نعود ونرجع الى القوة الوحشية المحسوسة لاجل تأييدها، واليك البرهان :

« هب ان خلافا نشب بين أمتين أو أكثر ورفع أمره الى تلك المحكمة الدولية العمومية العليا (الموهومة) وهذه بموجب الحق والعدالة المجردة أصدرت حكمها ضد الامة القوية المتعدية ورفضت تلك الامة القوية ان تخضع لحكم المحكمة العادل فماذا علينا ان نفعل؟ علينا أن نلتجئ الى جيش قوي جدا يرغم تلك الامة القوية على قبول حكم المحكمة العليا وتنفيذه . والا كانت العدالة والحق والحكم حبرا على ورق من الوجهة العملية . ولما لم يكن تنظيم جيش عمومي ممكنا كان من المستحيل إذن اجراء الحق بين الامم المتباينة في العدد والقوة اجراء فعليا كما يجري في الامة الواحدة التي لها من قوة جندها مايجعل الحق نافذا والعدالة المجردة ممكنة — ولكن بين أفرادها فقط. ومجمل القول ان الناموس الطبيعي المعقول هكذا يأمر أي ان العدالة المجردة يجب ان تجري ولكن بين أبناء الامة الواحدة فقط لان ذلك ضروري لحفظ كيانها ولتقويتها أما مع الامم الاخرى فالحق للقوة في كل حال وويل للضعيف والمستضعف[1]

(١) المنار : حقا انه لم توجد شريعة تأمر بالمساواة والعدل العام غير الاسلام ولكن كانت الدول الاوربية تراعي العدل فيما بينها في الجملة حتى جاءت هذه الفلسفة الجديدة بهذه الحرب العامة التي لابد ان تعود عليها بالنقض ولو بعد حين

الاستعمار

تنازع ألمانية وانكلترة بسببه

وبعد هذا يوضح الجنرال برنهاردي مسألة الاستعمار بقوله: ان كل أمة قوية لابد لها يوما من طلب التوسع في املاكها لان أفرادها المتزايد عددهم يحتاجون أولا الى المواد الغذائية وثانيا الى المواد الاصلية في الصناعة حاجة تزيد بالنسبة الى عددهم المتكاثر، وهذه لايجدونها الا في الخارج. واذا زادت مصنوعاتهم تراهم يضطرون الى ايجاد أسواق جديدة لاجل تصريفها ـ أي الى ايجاد مستعمرات، فالمستعمرات إذن من لوازم الامم الراقية

والاستعمار يتم بطرق ثلاث: (١) المهاجرة واختلاط المهاجرين تدريجاً مع السكان الاصليين والامتزاج بهم امتزاجاً سلمياً حتى يتغلبوا عليهم بفضل تفوقهم على الوطنيين بالقوى البدنية والعقلية والاخلاقية، (٢) بانشاء مستعمرات منظمة في بلاد أهلها من نصف المتمدنين أو من غير المتمدنين وامتلاك مثل هذه المستعمرات غير صعب ألبتة، (٣) بالحرب واغتصاب المستعمرات من أيدي أهليها عنوةً إذا كان أولئك الاهلون على جانب من المنعة والتمدن. وهذه الطرق الثلاث تدعى المهاجرة والاستعمار والاغتصاب وهي لاتتم إلا باستعمال القوة في احدى مظاهرها وبمعاملة سكان البلاد الاصليين حسب ناموس تنازع البقاء لاحسب الحق والعدالة.

والحق كل الحق مع الجنرال برنهاردي في هذا التصريح، لان كل أمة قوية استملكت بلادها وبلاد غيرها بقوة السيف يوماً لم تعامل الاهلين الاصليين قط بالمساواة والعدالة كما يدعون. وليس في هذه التعاليم شيءٌ جديد كما قلت آنفا ولكن الذي زادها أهمية هو اشتباك المانيا منفذة هذه المبادئ بحرب كبرى مع غيرها من الامم ووجود حزب قوي عندنا (أي في انكلترا) شعاره «السلم مهما كلفهُ الامر» ومذهبهُ هو أن الذي يأخذ بالسيف بالسيف يؤخذ. وسها عن بال هذا الحزب المتخنث ان الذي لاسيف عنده يكون أول مَن يسقط بسيف الغير، وخصوصاً في هذه الايام أيام المنازعات والمناظرات والمسابقات الهائلة

ولا أصدق من كلام الجنرال برنهاردي عن السوسياليست والراديكاليين (الاشتراكيين والمتطرفين) الذين يزعمون أن الحكومة ليست سوى شركة ضمانة عملها توزيع المنافع والمرافق بالسواء — ان هذه الاراء لا يمكن العمل بموجبها أبدا لانها آراء نظرية بحتة وكل أمة تسير بموجبها تضعف فتنحط وتفنى على تمادي الاجيال . والشواهد العديدة التي اقتبسها برنهاردي من دارون وكنت وهكل وفشت وشلر وغوث تؤيد هذا المذهب، وحبذا لو أنهُ ذكر اسم كروب ومدافعه أيضاً حتى يصير الاقتباس تاماً، لان كروب واختراعاته لاتقل أهمية عن تعاليم أولئك الفلاسفة

فضائل الحرب — نقد برنهاردي

انني من المعجبين بتصريح برنهاردي القائل ان للحرب فضيلتين هما الشجاعة والعدالة ، فالشجاعة فضيلة لانها رائد الاستقلال ، والعدالة فضيلة لانها رائد الصدق والصدق رفيق القوي دائما ، ولكن العدالة والصدق يجب أن ينحصرا في الامة الواحدة وافرادها فقط دون غيرهم حسب تعليم برنهاردي، أما في العلاقات مع الغرباء وبين الامم الاخرى فللقوة المركز الاول دائما ، وكل من يقول بخلاف ذلك فهو خادع أو مخدوع

الى هنا انتهى اعجابي بالتعاليم العملية التي دونها الجنرال برنهاردي في كتابه الاخير، ولكن موضوعاً اجتماعياً فلسفياً كهذا لا يخلو من التعقيد والصعوبة لذلك لا ألوم برنهاردي إذا رأيته يناقض نفسه في بعض الاحايين ، ويخلط في تدوين المبادىء وشرحها في البعض الآخر

فمن جملة المتناقضات في تعاليمه عدم شفقته على الامم الضعيفة حالة كونه لم يضمن لنا طريقة ثابتة بها تبقى الامة القوية قوية الى ماشاء الله — وهذا من أهم الاعتراضات أيضاً على مذهب دارون القائل ببقاء الانسب . ومن جملة مواضع الخلط والخبط في شرح مبادئه عدم جمعه بين العدالة والقوة جمعاً علمياً ترتاح النفس اليه، بل أراه أبقى هوّة عميقة بين القوة الوحشية التي عبر عنها بالحرب و بين العدالة المجردة التي لا يجوز لها أن تخضع للقوة

ليس ذلك فقط بل ان الجنرال برنهاردي اعتمد على علم الاحياء (بيولوجيا) في مصنفه الاخير وهو مولعٌ بهذا العلم لكنه تجاهل وجود ناموس التعاون والتضامن في النوع الواحد ونسي أو تناسى ان الانسان مهما تعددت أممه وأجناسه وعناصره وألوانهُ لم يخرج عن كونه نوعاً واحدا من أنواع الاحياء هو نوع الانسان يتطلب كيانهُ ناموس التعاون والتضامن ولو باحد أشكاله البسيطة

ويحوجني الوقت والمجال لأُبين أن العلاقة بين الحق والقوة هى علاقة شديدة موجودة فعلا وهي مثل الارتباط المتين الموجود بين الحرية والمسؤُولية وبين الحق والواجب، فكما أن الحرية توجد المسؤُولية والحق يوجد الواجب والعكس بالعكس كذلك أرى أن ناموس « الحق للقوة » الذي ينادي به الجنرال برنهاردي وأركان حرب المانيا عموماً يقتضي وجود علاقة متينة بين الحق والقوة لم يشر اليها برنهاردي ولا عرضاً في سياق كلامه . لذلك نرى ان المانيا في هذه الحرب مغمضة عين الحق في بعض تصرفاتها المخالفة ومجسمة فضيلة القوة الوحشية المحسوسة في سائر اجراآتها مما جعلها عرضة للنقد العادل

أما ما خلا هذه النقط القليلة القابلة الانتقاد فكلام الجنرال برنهاردي صحيح لاغبار عليه، ويجدر بالحزب السلمي في انكلترا أن يدرسه بمزيد التدقيق والتروي عله يقلع عن تعاليمه النظرية الضارة ويساعد القائلين منا بوجوب تنظيم جيش قوي دائم وتعويد الامة على تربية رجال أشداء أقوياء البدن وعلى غاية من النشاط والبسالة اه

[المنار] نقلنا ما تقدم عن جريدة الافكار البرازيلية بنصه مع تصحيح لفظي قليل والقارئ يرى ان غرض صاحب مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية من تلخيص ماخصه من الكتاب الألماني هو إقناع قومة بأن يحذو حذو الألمان في شدة العناية بالقوة الحربية ومنه جعل الخدمة العسكرية اجبارية ، والظاهر ان شر عاقبة لهذه الحرب هو زيادة عناية الامم الاوربية كلها بالاستعداد للحرب وان كان بعض الناس يظنون انها سترجع الى رشدها بما تقاسي من خسارة الانفس والاموال

بين روسيا والمانيا (*)

(وفيه وصية غليوم الاول لحفيده غليوم الثاني)

يذكر قراء « الافكار » ما عربناه من مدة من تلغراف الامبراطور غليوم الى القيصر نقولا إذ قال له يومئذ انه موصى على فراش موت جده بالمحافظة على صداقة روسيا . وقد قرأنا مؤخرا تلك الوصية المشهورة التي أوصى بها الامبراطور غليوم الاول حفيده امبراطور المانيا الحالي في الساعات الاخيرة من حياته إذ استدعاه وزوّده بنصائحه ووصاياه وما يفرض عليه عمله والسياسة التي يجب عليه اتباعها إذا تبوأ العرش . وهذا ملخص نص الوصية :

« إذا كتب لك الحق سبحانه وتعالى أن تملك على عرش أجدادك القياصرة فاعتنق الحق والعدل وبثهما في الرعية . واعتن بالجيش مزيد العناية . واجهد في اكتساب ميل العامة وحب الشعب الالماني باسره . واسع في تقرير السلام العسكري والسياسي في داخل المملكة وخارجها مع مراعاة قوانينها وشرائعها . وساعد الضعيف ، واعضد العاجز ، وساو كليهما بالقوي ، حتى لا يكون امتياز ولا حيف ، و (حتى) تكون حرية مطلقة في جميع الاديان والمذاهب . تودد الى الامم الغربية على اختلاف نزعاتها ، وحافظ على اتحاد أوستريا والمجر حليفة جرمانيا الامينة ، لان في هذا الاتحاد موازنة للسياسة الاوربية ورابطًا بين الدولتين من قديم التاريخ . ولا تحرم البلاد من فوائد السلم وثماره الطيبة المذاق إذا لم تكن الحرب أمرا واجبًا فيما لو تعدت على المانيا دولة ورامت مهاجمتها أو مهاجمة حليفتها . ولا تستخدم قوة ألمانيا لإثارة حرب عدائية تكون أنت البادئ فيها ، فان المانيا ليست في حاجة الى مجد عسكري جديد ولا الى افتتاح حديث . حاذر الحرب قدر استطاعتك واياك ودولة الشمال . ثابر على اتباع خطة المودة الوطيدة نحو قيصر روسيا اسكندر الثالث ودع المانيا ان تسير على خطة السلام والوفاق الحبي مع روسيا ، وابذل كل نفيس

(*) منقولة عن جريدة الافكار البرازيلية

في سبيل مرضاتها واستدامة ودها اليك ، وايد الصلات السلمية التي كانت لنا في مدة المائة سنة الماضية في مملكة روسيا جارتنا . فهذه كانت حاساتي(؟) الشخصية التي تنطبق على مصالح المانيا » انتهى

هذا بعض ماوقفنا عليه من وصايا الامبراطور غليوم الاول الى حفيده الامبراطور غليوم الثاني الذي بذل جهده في اتباع وتحقيق أماني جده من توثيق عرى الصلات مع جارته والممالك المتحالفة معه حتى تبقى العلائق الودية على سابق حالها غير واهية ولا منفصمة

وقد عرف العالم أجمع ما كان لروسيا من الشأن المهم في حربي عام ١٨٦٦ مع النمسا وعام ١٨٧٠ مع فرنسا، والخدمة الجلى التي قام بها اسكندر الثاني قيصر روسيا في تسهيل الوحدة الالمانية ، وقد عرف ذلك غليوم الاول كما عرفه وزيره البرنس بسمارك . ولهذا أوصى حفيده غليوم الثاني بتحسين صلاته مع روسيا . ولا يزال العالم يذكر تلغراف غليوم الاول الى القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٧٠ إذ قال له « أعترف بأن جل الفضل في فوزي ونجاحي عائد اليك » فضلا عما كان من أعمال بسمارك في حياة غليوم الاول وفردريك الثالث في تسهيل التقرب الى روسيا بالرغم من التحالف الثلاثي ومن مبادئ أوستريا وسياستها البلقانية. وقد كان بسمارك لا يطيب له عيش الا يوم يأمن نفوذ روسيا . والامبراطور غليوم الثاني ذاته بعد قبضه على صولجان الامبراطورية زار القيصر الروسي قبل أن يزور حليفتيه النمسا وايطاليا ، كما زار جده غليوم الاول قيصر روسيا يوم تبوأ عرش أجداده ، وعمل على تأييد التحالف الشمالي واهتم في زيادة التقرب من روسيا لتحسين صلات الدولتين، إذ لم يشأ ان يبتعد عنها لما بين الاسرتين المالكتين في روسيا والمانيا من صلة القربى ،فضلا عن ضرورة الاحترام للوصية السابقة الذكر

ولكن دلكاسه الداهية وزير خارجية فرنسا حالاً مشهور بعداوته لالمانيا فعين منذ سنة ونصف سفيراً لدولته في بطرسبرج واستطاع بدهائه الغريب أن يفهم روسيا أن النمسا ليست بالعدوة الرهيبة لو لم تكن تعضدها المانيا وان خير طريقة لكسر شوكة النمسا هي اضعاف المانيا، وساعدته الظروف والحنكة

السياسية، فابان لروسيا مطامع المانيا وما صنعته مع روسيا في معاهدة برلين وغيرها. وقد نجح دلكاسه في سياسته نجاحاً باهراً إذ أضاف الى الحقد الكامن في قلوب الشعب حقد الحكومة الروسية ، فتراخت العلائق بين الحكومتين وسعى القيصر للتملص من ربقة نفوذ امبراطور المانيا عليه ، وخصصت حكومته عشرة مليارات ليرة لنظارة الحربية لسنة ١٩١٣ واشترت بتسعة وعشرين مليوناً من الليرات أوتومو بيلات حربية ، وأضافت عددا عظيما الى جيشها الهائل ؛ وجعلت الخدمة العسكرية في بعض الفرق أربع سنوات ، وارادت تغيير المعاهدة التجارية بينها وبين المانيا ، وضربت رسما باهظاً على القمح الوارد من المانيا الى فنلندا ، وأطلقت سراح الصحافة فاثارت على حكومة برلين عواطف السلافيين ، ومكنت الحقد بين الشعبين. وكان المسيو دلكاسه العامل في كل ذلك الذي وصل الى هذه النتيجة

وكانت الامة الروسية قد رأت خيلاء الامة الالمانية فهالها أمرها لاسيما وهي تنظر اليها نظرة جار يود ضرر الآخر تجارةً وصناعةً وسياسةً . أضف اليه الحقد المتولد في قلوب السلافيين ضد الجرمانيين وتصرف بسمارك نحو روسيا في معاهدة برلين كما قلنا بعد ان كان حليفها سنة ١٨٧٨ وقلما ترى الآن في روسيا من يحب المانيا حتى من أولئك الذين يجري في عروقهم الدم الالماني أو النمسوي كالبولونيين في بوزين وفرسوفيا والتشك في براك والصرب والكروات في اغرام وبلغراد حتى في طيات قلوب البلغاريين في صوفيا . وهذا الحقد المنفجر في جميع جوارح السلافيين أرغم حكومة بطرسبرج على الانتصار للصربيين وشهر الحرب على النمسا . وقد أرادت حكومة القيصر أولاً ان تتخذ من السلافيين حقدهم لرشق نباله في صدور النمسويين فقط ، وذلك لان المانيا قد لعبت دورا مهماً في بلاط روسيا لوجود عدد عظيم من الدوقات الالمانيات في القصر الامبراطوري — كماريا بافلوفنا قرينة الفراندوق فالديمير والبزابت فيودوروفنا شقيقة القيصرة ورئيسة دير كيير الراهبات ودوقيات أولدنبرغ وليستنبرغ والامبراطورة الكسندرا — وعدد عظيم من القواد والضباط وولاة الامور الالماني الاصل الذين يشتغلون بجميع قواهم لزيادة متانة العلاقات بين روسيا والمانيا ، عدا عن العلائق الوطيدة الشخصية

بين القيصر والامبراطور ولان، حرباً عوانا تقع بين المانيا وروسيا لاتفيد الثانية كثيرا

أما حقد حكومة القيصر على النمسا فكان ولا يزال هائلاً جدا لان فيها الأقل من ١٦ مليونا من السلافيين تابعين لخمسة عشر مليونا من الجرمانيين. لذلك ليس من الصعب على حكومة بطرسبورج الضرب على وتر نصرتهم الجنسية فضلاً عن ان النمسا مازالت تعرقل سياسة روسيا في البلقان، وكانت الحرب بينها بين روسيا أمرا طبيعيا لامفرّ منه اه

ترجمة الشيخ شبلي النعماني

﴿ بقلم الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني ﴾

مترجمة من جريدة (عليكده إنستيتيوت غازت) بقلم عبد الرزق من تلاميذ دار الدعوة والارشاد

انتهت السنة الثانية والثلاثون الهجرية على حادثة فجائية ستذكر في تاريخنا الى زمن بعيد : أذيع خبر وفاة الشيخ شمس العلماء شبلي النعماني في صبيحة ٢٨ ذي الحجة أي في الوقت الذي تنير فيه الشمس العالم ، ولكن وآسفاه غربت فيه شمس العلم وأظلم العالم العلمي .

(ثم بين الكاتب مجد المسلمين القدماء وكثرة وجود العلماء والنابغين فيهم الذين كانوا يخلفون السلف ، وانحطاط المسلمين الآن وفقدان الرجال الذين يحلون محل موتاهم . وقال)

ان في سيرة الشيخ عبرا ودروسا للطبقتين — طبقة النابتة الحديثة وطبقة العلماء ، فلو كتب تاريخه لكان نافعا للمسلمين . وتوخيا للفائدة نلمح الى تاريخه فنقول :

الشيخ شبلي النعماني من بلدة أعظم كدة الشهيرة وهو من أسرة كبيرة وابن رجل عظيم . لا أعلم سنة ولادته ولكني قرأت ما كتب في الجرائد من انه ولد سنة ١٨٥٧ أي سنة الثورة . وكان من أسباب تقدمه العلمي ذهنه الثاقب وطبعه السليم وحرص والده على تثقيفه وتربيته ، ووجود أستاذ كامل له كمحمد الفاروق الذي كان ماهراً في العلوم العربية والآداب الهندية . أخذ الشيخ شبلي علم الحديث عن العلامة أحمد علي الشهير ، وبعد فراغه من التحصيل دخل خدمة